الشعر شيء يتصل بالانسان من حيث هو كائن حى ، لا من حيث هو ابن وطن ، وابن جامعة أخرى من لغة أو عقيدة .

كان العقاد ابنا بارا للنزعة الإنسانية التى تقدر العلم والفن لذايتهما لا لما تجنيه من فوائد معينة .

كذلك فند العقاد ما يقال فى ردهات المعلمين وأسواق الكتب المدرسية . فما أكثر ماتنادى الناس أن الشعر يمثل الأمة والبيئة . وخليق بهذا الكلام أن يحملنا على مطالبة الشاعر بما ليس مطلوبا منه ، وأن نقيسه بما ليس يصح أن يقاس به . والشاعر كثيرا مايسبق عصره ، أو يعلو عليه فى الإدراك والشعور . ولاتنس أن الشاعر الذى يمثل جيله قد يدل على صدق فى الملكة وأمانة فى التعبير ولكنه قد لا يدل على تفوق فى الشاعرية ، ولاتكون له الحجة على زميله الذى يعبر عن أمور يجهلها معاصروه ، ثم يعرفها له الناس بعد زمانه .

ومع ذلك فقد أخذ الدارسون ردحا طويلا بعد هذا القول يمدحون الشعر لأنه يفيد المؤرخ فى استقصاء أحوال العصور ، واستخراج الوقائع والأسانيد . وغاب عن هؤلاء أننا نبحث عن شاعر متفوق يخالف بيئته ، وينقطع ما بينه وبينها فلا تشبهه ولا يشبهها إلا فى معارض لايصح بها الاستدلال .

وربما لايعنينا شعر المتنبى لأنه شاهد صدق على زمانه ، الأولى أن نهتم به من حيث هو شاعر هذا الزمان .

وخلاصة هذا أن التأمل فى الشعر فيما يقول العقاد قد تنكب السبيل لأننا طورا طلاب فائدة وطورا نطالبه بمطابقة البيئة والزمان ، ونتناسى أن الشعر أو الشاعرية الراجحة فوق الفائدة وفوق الزمان . فإذا عنينا بالحرية فى أى مظهر من مظاهرها فلسنا نسجل بهذا مفهوم التاريخ ، وإنما نتلمس شيئا فوق التاريخ .

ولايسعنا فى ظل هذا كله أن نتجاهل الفوارق الأساسية بين (خدمة) الجامعات للشعر فى أسر البيئة والاعتبارات الوضعية ونداء العقاد الذى ظل مع الأسف لا يجد استجابة جماعية سريعة .

ومنذ وقت بعيد قال الدكتور طه إن تأملات العقاد كانت لاتلقى الصدى الواجب على